

المكب

يُنقل عن لسان احد قصص الأجداد الذين جاؤا بعض الدول بان رجل عراقي كبير السن يتنقل بين بعض مدن الجنوب العراقي حيث ابناء عشيرته . و كان حينما استقل ذاك الرجل حافلة للنقل العام او اكل في مطعم ما فانه يستدر عطف ابناء مجتمعه بشكواه من انه وُلد و عمره سبعة اشهر (خديج كما يُسمى في بعض مناطق الدول العربية) ، أي قبل اكتمال نضجه التام عند الولادة و انه ضعيف البنية حينذاك . فكان حينما يطلب طعام من مطعم ما بمنطقته يطلب زيادة في المؤنة مجانية و حينما يركب حافلة نقل عام يطلب من الآخرين افساح اكبر مجال له لذات السبب . ابناء مجتمعه في مجملهم مسالمين و طيبون و يستمعون لشكواه و يتعاطفون معه و يستجيبون لما يود ان يحصل عليه أو يطرب ان يستمع له . و استمر ذلك الحال حتى بلغ عمره عتيا و استمرأ الحال . و ذات يوم واجهه رجل مفتول العضلات و كان غضبان منه لكثرة شكواه و كثرة استدراره لعطف بني مدينته ، فقال الرجل له و هم بالحافلة و أمام الناس : " ما رأيك ان ترجع من المكان الذي اتيت منه و تكمل شهرين اقامة و تكون بذلك أكملت تسعة اشهر أي مثل الآخرين بدل كثرة شكواك المملة و تكسبك منها".

بشعور إرادي أو لا إرادي يتمرس البعض من الناس في التشكي و التذمر من أوضاعهم المعيشية أو الوظيفية أو الصحية أو العلاقات الأسرية البينية أمام أحد إخوانهم أو اصدقائهم أو والديهم بشكل شبه يومي و دائم دون كلل أو ملل . يزداد و يستمر و ينمو هذا السلوك السيئ من طرف المشتكي أمام المشتكى إليهم في حالة عدم المساواة و الاستيصال عن طبيعة الموضوع و الظروف المحيطة و ملابسات المسألة و التحفيز له للمواجهة و وضع برامج حلول جذرية للخروج من تلك المعضلة أو تخطي تلك الشكوى. الغريب في الأمر أن ذاك الشخص ، البعيد عنا و عنكم ، يزداد لديه منسوب ترديد ذات الشكوى إلى مرحلة التلذذ في الفضضة السلبية امام ذات الأشخاص الذين يضحون بأوقاتهم للأنصت له أو يعيرون اهتمامهم للموضوع الذي يلقيه و لعدة مرات قد تتجاوز العشر مرات ؛ و في ذات الوقت ، لا يشاطر المشتكي أخباره السارة الحادثة في حياته حديثا مع ذات الاشخاص الذين يلجأ اليهم في العادة لفضضته السلبية ! .

الأنكى من كل ذلك إن المنصت للشكوى ينصت وفاءً منه للآخر تارة بعنوان الأخوة أو الأبوة أو الصداقة

او المشترك الوطني او المشترك الديني أو المشترك العرقي اى المشترك القومي . و في ذات الوقت يسقط المنصت حقه في إستقبال الأخبار السارة إحتراماً لخصوصية المشتكي او تحميلاً منه للآخر على حسن النية او تجاوزاً منه عن العتاب او ايجاد له أي تبرير عملاً بالمرويات من التراث الديني الشريف (احمّل أخاك على اكثر من سبعين محمل) . و قد يكون فعل الحجب عن نقل الاخبار السارة ناتج عن تلذذ المشتكي في إفراغ طاقته السلبية في أذن الآخرين و جعله اياهم مكب و مردم لشحناته السلبية. هكذا وضع و تشخيص للحالة بحق مزعج جدّاً و ينم عن خلط في المفاهيم من طرف و استغلال لذات المفاهيم من طرف آخر . و لعل المتابع لبعض قروبات الواتس أو احاديث الديوانيات أو تداولات المجالس يجد أدلة ساطعة و براهين قاطعة لما ذهبنا اليه من تحليل . فهناك من الناس من ديدنهم بشكل مفرط ايراد الأخبار السيئة او السوداء او المثيرة للاكتئاب و المهالك بشكل ممطر و سريع بسرعة و كالة الانباء العالمية . و في ذات الوقت تلاحظ الاختباء عن ادراج اخبارهم السارة التي تفيد الناس و تكون سبب في انطلاقة نوعية نحو أفق افضل . قد يكون الاخفاء يتم تارة خشية من العين و الحسد و تارة تجنب من نقل التجارب الناجحة وتارة احتكار للمكاسب و تارة استفراداً بالنخبوية و التمييز كما يتخيلون .

من الجيد ان نهمس في أذن كل الأوفياء و اناشدهم بان لا يجعلوا أنفسهم مكب أو مردم لففضضة مشاعر من ديدنهم السلبية و الأنانية و نشر المسخرة و الرذيلة و التطفل و احداث المشاكل . نحن جميعاً نعلم بان الصديق وقت الضيق و نحن جميعاً نعلم بان الوفاء في الشدة هو اصدق عناوينها ، و لكن يجب ان ينظر الجميع للأمور من زاويتين : زاوية حقوقك و زاوية واجباتك دونما مزايدة . فلكل انسان يريد ان يوظف اي مفهوم او قيمة او مبدأ عليه ان يوظفه على نفسه أولاً قم يطالب الآخرين به . فكيف لذاك الشخص كامل الحق ان يطالب الآخرين بالوفاء له و إذا رُفِع الضرر عنه تنكر لذات الأشخاص الذين آزره . و كيف لشخص ان يطالب الآخرين باستحقاق الصداقة في شدته و هو ذاته يجدها في رخاءه . و كيف لشخص ان يطالب من الآخرين بالاحترام من الآخرين و هو ذاته لا يحترم احد . و كيف لرجل ان يطالب الآخرين ان يقفوا بجانبه و ان استوفى حاجته و بلغ مراده تناسى كل من مد يد العون له .

من الجيد ان لا ينساق الناس ، لا سيما الشباب ، نحو من يتاجر بالمشاعر او المفاهيم أو القيم بعناوين مختلفة و رنانة ك عنوان الوفاء و الاخوة و الصداقة و الدين و المفاكهة البريئة و التمدن و التحضر و الامانة. و ان لا يجعلوا أنفسهم مكب نفايات للآخرين (dumpster) ممن يجيدون استغلال من حولهم . و انا اكتب هذا المقال بدافع المدارس مع القراء و التنبيه للشباب القراء و لصنع حياة بفروق نحو الأفضل و سعي لوعي اكبر .

و لابس ان يتعلم كل انسان ان يقول في وجه من يستنزف وقته في مالا ينفعه و يريد ان يستخدمه ك مكب : اعتذر منك لدي اعمال يجب ان أقوم بها ، ثم ينصرف لشأنه . و لنتذكر سوياً قول الاجداد " من جعل من

نفسه بسوس ، اكلته الدجاج " .